المحاضرة الثالثة

مقياس: أساطير أدبية

الموضوع: الأسطورة والخطاب الشعري المعاصر

لقد شكلت الأسطورة مادة دسمة لكل تواق يود الغوص في معالم الخيال الذي صنعه عقل الإنسان منذ فجر التاريخ ،إما هروبا من الواقع و صدماته او تمجيدا لأفعال الإنسان و تخليدا لبطولاته ،فهي من بين أهم الأجناس الأدبية تداولا و التي كان لها حضور قوي في مختلف الأعمال الأدبية ولاسيما الخطاب الشعري المعاصر احدى نتاجات حركة الحداثة في الشعر و التي جاءت تأثرا بالخطاب الشعري الإليوتي ذات البعد الأسطوري خاصة قصيدته الشهيرة الأرض والخراب وقد كان اعتماد إليوت على الصورة المرتبطة بأنماط أسطورية عليا أي ذات العلاقة باللاشعور الجمعي حسب تعبير كارل يونغ كأساطير الخصب والنماء و الولادة و الموت والبعث كما تجلت في كتاب الغصن التي هي بمثابة محرض لكل من يوسف الخال و خليل الحاوي و أدونيس ، وصلاح عبد الصبور على التماس الرمز الأسطوري على غرار سميح القاسم وغيرهم الكثير بمن كيفوا لغتهم المعاصرة للانفتاح على اللغة الأسطورية حتى أخذت بعدا أنثربولوجيا حافظ على علاقته بنصوص تاريخية سابقة و ثابتة مع الحفاظ على بنيات النص الكبرى و الحقول الدلالية المراد التعبير عنها حتى يستطيع أن يؤسس لنص جديد ينهل من القديم أو التراث الأسطوري و يكسب عمله جراء تداخل النصوص مع بعضها البعض ، ومن هنا يمكننا طرح التساؤل التالي : كيف يمكن لنا أن نقف على جماليات الاستحضار الأسطوري داخل الخطاب الشعري العربي الحديث؟.

لقد حاول الشاعر أن يستثمر ظروف الحاضر لأجل أغراض فنية و جمالية و إيديولوجية خاصة ما يعرف من تغيرات تعرفها المجتمعات العربية على صعيد النظم السياسية و اق و اج .....و التقنية والرقمية كما حاول إبراز طاقته الكامنة عن طريق الأسطورة التي يعتبرها أداة يستطيع من خلالها التعبير عن كوامنه ، فعلى اختلاف كيفيات وطرق استدعائها و توظيفها مثلت لديه قوة ابتكارية كبيرة يستطيع بها أن يرتفع بالواقعة الفردية المعاصرة إلى مستوى الواقعة الإنسانية العامة ذات الطابع الأسطوري لما لها من قدرة إيحائية رمزية تعجز بنية اللغة العادية عن تمثُّلها و أدائها خارج سياقها الشعر العربي المعاصر

استخدم الشاعر الأسطورة حين لمس عجز اللغة التقليدية عن احتواء تطلعاته و أفاقه في نظم الشعر ، ذلك أنها :مجموعة من الحكايات الطريفة المتوارثة منذ أقدم الفترات و العهود الإنسانية تكون حافلة بمختلف أنواع المعجزات التي يختلط فيها الواقع بالخيال و يمتزج عالم الظواهر بما فيه من إنسان وحيوان و نباتات ومظاهر كونية بعالم ما فوق الطبيعة من قوى غيبية امن بها الإنسان الأول و اعتقد بألوهيتها، فتعدد نظرة الآلهة مقترن بعدد مظاهرها المختلفة فهي ذات صلة وطيدة بالحضارات الإنسانية في القرون السابقة تحوي مجموعة منسقة و منظمة من الأفكار و المعتقدات و المواقف و الرموز و الصور حول كل ماله علاقة بالطبيعة البشرية ولهذا اتخذ الشعراء الأسطورة وسيلة رمزية يعبرون من خلالها عن أفكارهم و مواقفهم لدواعي ثقافية و سياسية بحتة ساهمت في إضفاء إيحاءات منحتهم قدرة عالية على التعبير عن مكنونات النفس انفتاحا على الموروث بجميع انواعه تلميحا لا تصريحا و إيماءا لا توضيحا .

ويبدو ان توظيف الأسطورة مر عبر مراحل متتالية بلوغا إلى مرحلة النضج خارج سياقها التاريخي و حدودها التراثية اكتسابا للملمح التراثي من جهة و حسن استخدامه و ربطه بالموقف الجديد مما اثرى الأعمال الشعرية بصورة فنية تجمع في طياتها الخيال واللامعقول و التشويق هذا و قد مرت في مراحلها الأولى بما يعرف بالملاحم و البطولات التاريخية المطولة التي تتغنى بالأمجاد و هو ما يرهق الأديب والمتلقي و قد برزت أسماء أمثال حافظ إبراهيم و شفيق المعلوف و فوزي المعلوف.

أما المرحلة الثانية فقد عرفت قالبا فنيا و تراثا يحمل مواقف و احدثا عصرية و هو ما تبنته جماعة أبولوا أمثال احمد زكي أبي شادي و علي محمود طه الذين تمثلاها و استدعيا عددا من الأساطير اليونانية و المصرية القديمة بلوغا للمرحلة الثالثة.

المرحلة الثالثة: التي تمثل قمة النضج و حسن استدعائها عبر تقنيات مختلفة تحدث بضمير الأنا و تقمصها لشخصيات تراثية أسطورية .